الفنون العربية الإسلامية

العاج في بلاد الأندلس

المرحلة الثالثة إسلامي

م.م علي احسان عبد علي

العـــــاج

تمهيد

عرف العاج منذ أقدم الأزمنة وخاصة في الحضارة الفرعونية بمصر، وفي العراق كشفت في أحد أبار مدينة نمرور أحدى عواصم الدولة الأشورية في شمال العراق على العديد من التحف العاجية، ويبدو أنها وصلت إلى هنا من خلال العلاقات التجارية وتبادل الهدايا ما بين الأشوريين والفراعنة المصريين، والعاج مصدره أنياب الفيل.

وفي العصر الإسلامي ظهرت التحف العاجية في مدينة الفسطاط حيث استخدم العاج في تطعيم التحف الخشبية، بأشكال هندسية مختلفة مثل المربعات والمعنيات والدوائر، كما عثر على قطع للشطرنج مصنوعة من العاج في تنقيبات الفسطاط، خلال صدر الإسلام والعصر الأموي.

وفي العصر العباسي تطورت صناعة العاج وعملت منه نماذج متنوعة على شكل حشوات وصناديق وعلب وأبواق ومحابر وقطع شطرنج، وهذه النماذج العاجية موزعة في مختلف متاحف العالم، ففي متحف برلين توجد حشوة على شكل شريط يمثل مشاهد للطرب والغناء يظهر فيه شخص يحمل آلة عود وآخر يعزف على العود.

وفي المتحف الفن الإسلامي بالقاهرة حشوات عاجية تحمل زخارف ورسوم يظهر فيها أرنب يعدو فوق أرضية نباتيه ويضم نفس المتحف على حشوة أخرى تمثل صياد يمسك طيراً، والصياد يمتطي صهوة جواده ويمسك رمحاً ودرعاً.

وفي المتحف البريطاني بلندن حشوتان من العاج الإسلامية، ومن الصناديق العاجية تحتفظ كاتدرائية طرطوسه باسبانيا، وهو من الخشب المغطى بالعاج وتاريخه يعود إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م وزخارفه دوائر تضم رسوماً آدمية ورسوم حيوانية إضافة إلى الأشرطة الكتابية.

أما الأبواق فيضم متحف برلين بأحدها يزدان بزخارف من رسوم طيور وحيوانات موضوعة داخل إشكال هندسية دائرية، وفي متحف المتروبولتان توجد أربعة أبواق تزينها أشكال طيور وحيوانات تبدو في حالة صراع داخل مناطق مستديرة على أرضية نباتية.

وعملت المحابر من العاج و واحده محفوظة بمتحف المتروبولتان عليها زخارف حيوانية وطيور يمثلها طاووسين متقابلين، وغزلان وأسود وأرانب. ومن العلب العاجية المحفوظة في العديد من المتاحف وهي تحمل مشاهد كالطرب والغناء والصيد، ومنها واحدة منها محفوظة في كاتدرائية. وفي المكتبة الوطنية الأهلية بباريس فبل من العاج للعبة الشطرنج، فكانت هذه القطعة ضمن الهدايا التي قدمها الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا والقطعة الشطرنجية تمثل ملكاً على ظهر فيل يحف به حرسه من الفرسان ويشاهد على خرطوم الفيل بهلواناً رأسه أسفل ويداه ممسكتان بنابي الفيل، وعلى قاعدة هذه التحفة كتابة بالخط الكوفي نصها: (من عمل يوسف الباهلي)

التحف العاجية في بلاد المغرب والأندلس

ازدهرت صناعة التحف العاجية في بلاد المغرب، وتضم اليوم العديد من المتاحف نماذج من تلك العاجيات وبعضها يحمل تاريخ الصنع واسم صانعها واسم من صنعت له التحفة، ومن التحف التي صنعت في بلاد المغرب والأندلس مثل الصناديق المستطيلة الشكل، وعلب اسطوانية الشكل لها أغطية مقببة، وقد حملت تلك التحف العاجية عناصر زخرفية نباتية وخاصة رسوم الزهور كما حملت رسوم

الحيوانات، والأشكال الآدمية، ومشاهد للصيد، وحياة البلاط، ومن الصناديق المصنوعة في مدينة الزهراء ومحفوظة اليوم في متحف (بلنسيا) والنص الكتابي عليه.

«بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله ويمن وسعادة وسرور ونعمة لا حب ولادة مما عمل بمدينة الزهراء سنة ٣٥٥ عمل خلف». وفي متحف اللوفر بباريس علبة عاجية دائرية الشكل لها غطاء مقبب ومرتبط بالبدن، عليها الكثير من العناصر الزخرفية الهندسية والنباتية وآدمية وحيوانية إضافة إلى الخط النسخي نصه، (بركة من الله ونعمة سرور وغبطة للمغيرة ابن أمير المؤمنين رحمة الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلث مائة) وفي متحف مدريد علبة أسطوانية الشكل ذات غطاء وعليها زخارف نباتية وشريط كتابي نصه: (بركة من الله للأمام عبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين مما أمر بعمله للسيدة أم عبد الرحمن على يدي دري الصغير سنة ثلث وخمسين وثلث مائة). ومن صناعات الأندلس العاجية علبة مؤرخة من سنة ٤٤١ هجرية ومحفوظة في متحف الآثار بمدريد عليها زخارف نباتية ومشاهد صيد ورسوم طيور وحيوانات وكتابة بالخط الكوفي نصها: بسم الله الرحمن الرحيم بركة دائمة ونعمة شاملة وعافية باقية وغبطة طائلة ولاء متتابعة وعز وإقبال وإنعام وأفضال وبلوغ أمال لصاحبه أطال الله بقاه مما عمل بمدينة فونكة بأمر الحاجب حسام الدول أبو محمد إسماعيل بن المأمون ذي المجدين الظافر ذي الرياستين ابن محمد بن ذي النون اعزه الله في سنة إحدى وأربعين وأربع ماية عمل عبد الرحمن بن زيان) والأمير الذي ورد اسمه في هذا النص هو أمير طليطلة يحيى المأمون.